نحو منهج إسلامي أصيل (١)





التصفية والتربية

وأثرهما في استئناف الحياة الإسلامية

بقلم

علي حسن علي عبد الحميد الحلبي الأثري

دار الكتب الأثرية


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التصفية والتربية

وأثرهما في استئناف الحياة الإسلامية

نحو منهج إسلامي أصيل (١)

التصفية والتربية

وأثرهما في استئناف الحياة الإسلامية

بقلم

علي حسن علي عبد الحميد الحلبي الأثري

دار الكتب الأثرية

الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ



تطلب منشوراتنا من العنوان الوحيد :
الأردن ـ الزرقاء
ص . ب . (٣٥٤١) ـ الحي التجاري
تلفون (   )
والمراسلات على العنوان نفسه

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سَيِّئات أَعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يُضلل فلا هادي له.

وأَشهد أَنْ لا إلَه إلاّ الله وحده لا شريك له.

وأَشهد أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُهُ.

أَمَّا بعد:

فإنَّه لا تخفىٰ على أَحدٍ من الناسِ الحالةُ السَّيِّئةُ التي حَلَّ فيها المسلمونَ اليومَ، بسبب ابتعادهم السَّحيق عن كتابِ الله سبحانه وتعالى، وسُنَّةِ رسوله ﷺ.

وليس من شكٍّ أَنَّ النَّجاة من هذه الحالة المريرة إنَّما تكون بالتمسُّك الصادق بالوحيين الشريفين: كتاب الله سبحانه، وسنّة رسوله ﷺ، كما قال عليه الصلاة والسلام: «إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أَذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد **سَلَّطَ الله عليكم ذُلاًّ، لا ينزعه عنكم حتّى ترجعوا إلى دينكم**»[1].

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢) والدولابي (٢/ ٦٥) والبيهقي (٥/ ٣١٦) وأحمد (٢/ ٢٨، =

ولكنْ . . كيف يكونُ هذا الرجوعُ إلى الدِّين وقد تعدَّدتْ مناهجُ المصلحين، واختلفتْ طرائقُهم؟!

الَّذي يتدبَّرُ أحاديثَ النبيِّ ﷺ ويتأَمَّلُها يعرفُ - حقّاً - سبيل الرجوع، وذلك بإشارة قوله ﷺ :

«خيرُ الناس قَرْني، ثم الّذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم . . »[1]

ثمّ إنَّ المُتَتَبِّعَ لأَحداث الزمن على مَرِّ العصور، يرى - بجلاءٍ ووضوح - أَنَّ أَشدَّ الناس تَمسُّكاً بسبيل أَهْل القرون الثلاثة التي شهد لها النبيُّ ﷺ بالخيريّةِ هم أهلُ الحديث، فَمَنْ هم أَهْلُ الحديث؟

«هم مَنْ نَهَجَ نَهْجَ الصحابة والتابعين لهم بإحسان، في التمسُّك بالكتاب والسنّة، والعَضِّ عليهما بالنواجذ، وتقديمهما على كلِ قولٍ وهُدى، سواءٌ في العقائد أم العبادات أم المعاملات أم الأَخلاق أم السياسة والاجتماع.

فهم ثابتون في أُصول الدين وفروعه على ما أنزله الله وأوحاهُ على عبده ورسوله محمد ﷺ.

وهم القائمون بالدعوة إلى ذلك بكلِّ جَدٍّ وصدقِ عزمٍ.

= ٤٢، ٨٤) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧١٣) من طرق يقوّي بعضها بعضاً عن ابن عمر، وتوسّع شيخنا الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم: ١١) في تخريجه، فليراجع.

(١) رواه البخاري (٥/ ١٩١) ومسلم (٢٥٣٣) عن ابن مسعود.

وهم الذين يحملون العلمَ النبويَّ، وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

هم الذين وضعوا نصب أعينهم قولَ الله تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقولَه: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٦٣]، فكانوا أشدَّ بُعداً عن مخالفة أمر رسول الله ﷺ، وأبعدَهم عن الفتن.

وهم الذين جعلوا دستورهم: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّموكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [النساء: ٦٥].

فقدّروا نصوصَ القُرآنِ والسنَّةِ حقَّ قَدْرِهـا، وعظّموهـا حقَّ تعظيمها، فَقَدَّموها على أقوال الناس جميعاً، وَقَدَّموا هَدْيَهـا على هَدْيِ الناس جميعاً، واحتكموا إليها في كُلِّ شَأْنٍ عن رضىً كاملٍ، وصدورٍ مُنْشَرحةٍ، بلا ضيقٍ ولا حَرَج..»[1].

فإذا عَرَفنا ذلك، وَوَعَتْه قلوبُنا، وَعَقَلَتْه أفهامُنا، لا بُدَّ أن نعرف ـ بَعْدُ ـ كيفيّةَ سلوكِ هذا السبيل، إذ معظم الحركات الإسلاميّة، وسائر الجماعات الدَّعَويّة، تَدَّعي هذه الدعوى، دونما تطبيق لها، ودونما معرفةٍ عملية لكيفية سلوك هذه السبيل!!

ولبيان كيفيّةِ هذه السبيل علماً وعملاً، كانت هذه الرسالةُ

---

(١) «مكانة أهل الحديث...» (ص ١٠ ـ ١٢) للأخ الشيخ ربيع بن هادي.

المبـارَكةُ إنْ شاءَ الله ، موضحـةَ طريقَ الحـقّ ، وقامعـة سرابَ الباطل .

والحمدُ لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات .

وكتبه

حامداً مُصلّياً مُسلّماً

أبو الحارث علي حسن علي عبد الحميد

الحلبيّ الأثريّ

الزرقاء ـ الأردن

مساء يوم الجمعة ٥ جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ

١٤ شباط ١٩٨٦ م



سبيل الرجوع إلى الدين

إنَّ الناظرَ في سِيَرِ عُلَماء أهْلِ الحديث ـ على مَرّ الأعصار وفي مختلف الأَمصار ـ يرى أنّهم كانوا يَتّبعون نهجاً متشابهاً في الدَّعوة إلى الله على نورٍ وبَيِّنة، ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي، وسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وهو نهج العلم والتعلّم، فإنّه «إذا كانت الدعوةُ إلى الله أشرفَ مقامات العبد، وأجلَّها، وأفضلَها، فهي لا تَحْصُلُ إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بُدَّ لكمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حَدٍّ يصل إليه السَّعْيُ»[١].

ونهجُ العلمِ والتعلّمِ هذا مَبْنِيٌّ على أُسُسٍ ثلاثة:

١ ـ معرفة الحق.

٢ ـ الدعوة إليه.

٣ ـ الثبات عليه[٢].

وصورةُ هذا النهجِ تبدو جليّةً واضحةً ـ على سبيل المثال ـ بشخصيّتين عظيمتين في التاريخ الإسلامي:

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٥٤) ابن قيّم الجوزيّة.

(٢) وهذا يتضمّنُ الردَّ على المخالفين لهذا الحقّ كما هو ظاهر.

١ - **الشخصية الأولى**: الإمام أحمد بن حنبل الشَّيْباني رحمه الله تعالى، وتتمثّل هذه الصورة ناصعة في موقفه من «محنةِ خَلْقِ القُرآن» حيث ظَلَّ ثابتاً على صَفْوِ عقيدته، فضرَب مثلاً عظيماً في الثبات على الحق، والتمسّك به، والدعوة إليه، فها هو المَرْوَزيُّ - أَحد أصحاب الإمام - يدخل عليه أيام المحنة، ويقول له: يا أُستاذ، قال الله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾ [النساء: ٢٩]، فقال أحمد: يا مَرْوَزِيُّ! اخرج، انظر أيَّ شيءٍ ترى، قال: فخرجتُ إلى رَحْبَةِ دار الخليفةِ، فَرَأيتُ خَلْقاً من الناس لا يُحصيَ عددَهم إلاّ الله، والصحف في أيديهم، والأقلام والمحابر في أذرعتهم، فقال لهم المَرْوزِيُّ: أي شيء تعملون؟ فقالوا: ننظرُ ما يقول أحمدُ فنكتبه، قال المَرْوَزِيُّ: مكانَكم، فدخل إلى أحمدَ بن حنبل، فقال له: رأيتُ قوماً بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقولُ فيكتبونه، فقال أحمد: يا مَرْوَزِيُّ، أُضِلُّ هؤلاءِ كلَّهم؟! أَقتلُ نفسي ولا أُضِلُّ هؤلاء[1]!!

٢ - **الشخصية الثانية**: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيميّة الحَرَّاني رحمه الله تعالى، وتظهرُ صورةُ نهجه نقيّةً علياءَ بصراعاته الشديدة مع مختلف الفرق في عصره من أشاعرة وصوفية ومتعصّبة المذاهب من جهة، ومع التتار وجهاده لهم من جهةٍ أُخرى، فضلاً عن كيد الحاسدين وشكاياتهم للسلطان عنه[2].

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص ٣٣٠) ابن الجوزي.

(٢) ولقد فصّل ذلك كلّه ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤/ ١٤، ١٦، ٢٣، ٣٦، ٤٤، ٨٧) وغيرها.

ونستـطيعُ أنْ نستنبـط من حياةِ هٰذين الإمَـامَيْن العَلَمَيْنِ الأحْمَدَيْنِ كيفيةَ سلوك سبيل النهج الصحيح في الدعـوة إلـى الله تعالى مع العلم والتعلّم:

١ ـ كانوا ينظرون أحوالَ عصرهم برويّةٍ ودقّةِ نظرٍ، فإذا رَأَوْا شيئاً دخيلاً في عصرهم على دينهم من بدعةٍ أو فريةٍ أو خرافـةٍ أو باطلٍ، نبّهوا عليه، وحذّروا منه.

٢ ـ فإذا فعلوا ذلك نظروا إلى تلاميذهم ومَنْ يلوذُ بهم من أهل العلم وطلبته نظرةَ عطاءٍ مُتَدَفّقٍ علماً ونـوراً وهَـدْياً سَديداً، يعطـونهم الدينَ صافياً نقيّاً، ويُربّونهم عليه، ترْبيةً عُلوّيةً ربّانيّة، أصلُها ثابتٌ وفرعها في السماء!

فكان سبيلُهم العَمَليُّ في الدعوة إلى الله بنهج العلم والتعلّم وِفْقَ طريقةِ أهل الحديث هو:

التصفية والتربية

١ ـ تصفية الإسلام بسائر مجالاته مِمّا هو غريبٌ عنه.

٢ ـ تربية الأَجيال المسلمـة المعاصـرة والناشئـة علـى هذا الإسلام المصفَّى.

«ومِمّا لا ريب فيه أنَّ تحقيق هٰذين الواجبين يتطلّب جهوداً جبارة متعاونة من الجماعات الإسلامية المخلصة، التي يهمّها ـ حقّاً ـ إقامة المجتمع الإسلامي المنشود، كلٌّ في مجاله واختصاصه»(١).

---

(١) «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٢/ ٢) محمد ناصر الدين الألباني.

إذا عرفنا ذلك فلا بُدَّ - إذاً - من معرفة مجالات التصفية والتربية[1] وأثرها في استئناف الحياة الإسلامية في أيامنا هذه.

(١) وهناك سببٌ قويٌّ دفعني أن أكتب هذه الرسالة، وهو ما قرأته قبلَ سنوات في رسالة «الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية» للدكتور صادق أمين (!!) إذ كتب دون فهمٍ أو وعي عن الجماعات الإسلامية عامّة، فكان ممّا كتبه عن السلفيين (ص ٨٦): «وليس لديهم أهداف مرحلية محددة..» ثم ناقض نفسه (ص ٨٩) حيث قال: «ويرى السلفيون أن أول خطوات العمل الإسلامي (التصفية)..» قلتُ: ثم عَرّف (التصفية) تعريفاً ساذجاً مبتوراً فقال: « - أي فصل الأحاديث الضعيفة عن الصحيحة» قلتُ: ثم بنى على هذا التعريف الغالط الخاطىء سطوراً مليئةً بالجهل وعدم التثبت والتقوّل على عباد الله سبحانه بالباطل!!
ولقد رددتُ مفتريات «صادق أمين!!» وتُرَّهاتِه برسالةٍ مستقلّةٍ بعنوان «الردّ المبين على المدعو صادق أمين»!! يسّر الله إتمامها ونشرها بمنّه وكرمه.
ولستُ أُذيعُ سرّاً إذا قلتُ: إن اسم «صادق أمين» مخالفٌ للصدق والأمانة. فـ «صادق أمين» شخصيّة وهمية لا وجود لها البتة، لكنّ عدم الشجاعة العلمية تجعل صاحبها يتستّر وراءَ أسماء مستعارة، وينتحل شخصيات وهمية، مرتكباً مطيّة الكذب والزعم!!
ولقد اغترّ بكلامه في هذا الكتاب غير واحدٍ من الكاتبين، منهم حسين بن محسن بن علي جابر في كتابه «الطريق إلى جماعة المسلمين» (ص ٢٩٠) حيث أخذ كلامه من المسلّمات دونما نظر أو تفكير أو دراسة!! وكتاب «الطريق..» هذا مليءٌ بالتناقضات والمغالطات ممّا ينبغي إفراده بالرد والنقض!



مجالات التصفية

وللتصفيةِ مجالاتٌ كثيرةٌ متعدّدةٌ بتعدُّدِ ما طَرَأَ على أُصول الدين وفروعه من مُحْدَثاتٍ وعوائدَ وتحريفات، وأَهَمُّ هذه المجالات[1]:

١ ـ العقيدة:

وقد وَصَلَتْنا من طريق الوَحْيَيْنِ الشريفين نقيةً من الخرافة، خالصةً من الشوائب، بعيدةً عن أباطيل الشِّرك، سالمة من هُوَّة التَّأْويل، لكنْ.. لَمّا ابتعد النّاسُ عن سلوك سبيل نهج أهل الحديث في فهم الكتاب والسنّة، وقعوا ـ دونما وعي ـ بالشِّرك وأحواله، وتحريف الصفات الإلٰهيّة وتأْويلها، وَصَرْفها عن حقيقتها اللغوية اللائقة بذات الله سبحانه وتعالى[2]، وأَصبحت مُنْكَراتُ الأفكار العقائديّة ـ عند أهل الحديث والسنّة ـ مسلَّماتٍ بَدَهيّات عند مُتَأَخّرى أفراخ الخَلَف، فنرى قائلهم يقول:

---

(١) وسوف أذكر بعض الأمثلةِ على كل مجالٍ من هذه المجالات، وذلك لربط القارىء بمنهاج علمي عملي في فهم مجالات التصفية.

(٢) انظر «عقيدتنا قبل الخلاف وبعده في ضوء الكتاب والسنة» بقلمي مشاركة مع الأستاذ الفاضل محمد إبراهيم شقرة.

وكلُّ نَصٍّ أوهــم التشبيها   أَوِّلْــه أو فَوِّض وَرُمْ تَنْزيها

كما نظمه اللقَّاني في «جوهرة التـوحيد» ! ! واغترَّ به الكثيرُ من أصحاب العمائم وحَمَلة الشهادات!

ولستُ في مجال الردّ بالتفصيل على هذا الباطل، فقد بَيّنتُ ذلك مستنيراً بهدي الكتاب ونور السنّة في أكثر من رسالة، ولـكنْ يكفي أن أقول:

إنَّ الاعتقاد الصحيح في الصفات الإلٰهيّة هو أَن «لا نتجاوز الأسلوب القُرآني ولا الأسلوب النبوي، بل نَصِفُ اللهَ بما وصف نفسه في قُرآنه، وبما وصفـه به رسولُـهُ ﷺ من غير تعـطيلٍ، ولا تمثيل، ولا تأويل، ولا تشـبيه، ونعـرف معانـي هذه الصفـات ونُثبتها»[1].

وإذا سألـتَ كثيراً من الدعـاة فضـلاً عن العـوام سؤالاً في العقيدة، مثلَ قولك: أين الله؟ تراه يقول: في كل مكان، أو: في قلبي، أو: لا أدري، وقَلَّ مَنْ يجيب الإجابة الصحيحـة، بل إنّ بعضهم يُنكر عليك سؤالك!!.

ولقد سأل رسولُ الله ﷺ الجاريةَ السؤالَ نفسَه، فقالت: في السماء، فَأَقَرّها النبيُّ ﷺ وقال لسيّدها: أعتقها فإنها مؤمنة[2].

(١) «العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون» (ص ٣٧) عبد العزيز القاري.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (٥٣٧) والبخاري في «جزء القراءة» (٧٠) وأبو عوانـة (٢/ ١٤١) وأبـو داود (٩٣٠) و (٩٣١) والنسائـي (٣/ ١٥، ١٦) والشافعـي في «الرسالـة» (٢٤٢) ومـالك في «الموطـأ» (٢/ ٧٧) وأحمـد (٥/ ٤٤٧ و ٤٤٨) عن معاوية بن الحكم السُّلمي.

«ولا يدري المسكين [المنكِر] أنه ينكر على رسول الله ﷺ، أعاذنا الله من ذلك»[1].

قال الحافظ الذهبي[2]:

«ففي الخبر مسألتان:

إحداهُما: شرعيةُ قول المسلم: أين الله؟

وثانيهما: قول المسؤول: في السماء.

فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما يُنكر على المصطفى ﷺ».

وهناك أدلّة كثيرة على هذه المسألة، منها قولُه تعالى: **﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ في السَّمَاءِ﴾** [الملك: ١٦]، إذ معنى هذه الآية: «مَنْ فوقَ السماء على العرش كما قال: **﴿الرَّحمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾** [طه: ٥]، وكُلُّ مَا عَلاَ فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، فهو على العرش كما أخبر بلا كيف، بائن[3] من خلقه، غير مُمَاسّ من خلقه: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾** [الشورى: ١١]»[4].

وأَمرٌ آخر أنّنا نسمع كثيراً من الناس يقع بالشرك دون أن يعلم، فتجده يقول: «ما لي إلا الله وأنت» أو: «متوكّل على الله وعليك» أو: «هذا من الله ومنك» وهذا ـ لا شكّ ـ أشدّ مِمّا ورد في

---

(١) «إرواء الغليل» (٢/ ١١٣) محمد ناصر الدين الألباني.

(٢) «العلو» (ص ٨١ ـ مختصره) الذهبي.

(٣) منفصل، وهذا ردٌّ على القائلين بوحدة الوجود من الصوفية ونحوهم!

(٤) «مناقب الشافعي» (١/ ٣٩٨) البيهقي.

السّنة أن رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: «ما شاء الله وشئت» فقال له النبي ﷺ: «أجعلتني لله نِدًّا؟ بل ما شاء الله وحده»[1].

«قلتُ: إذا كان هذا كلامه ﷺ لمن قال له: ما شاءَ الله وشئت! فكيف بمن يقول[2] فيه:

فإنَّ مِن جودك الدنيا وضَرَّتَها   ومِن علومك علمَ اللوحِ والقلمِ

ويقول في «همزيته»: [مخاطباً النبيَّ ﷺ]:

هذه علّتي وأنت طبيبي   ليس يخفى عليك في القلب داءُ

وأشباه هذا من الكفر الصريح»[3].

إذاً لا بُدَّ من تصفية العقيدة الإسلامية السَّمْحة ممّا عَلَق بها من شركٍ، وتأويلٍ، وتغييرٍ لحقائق هذا الدين ومعالمه الأساسية، لترجع غضّةً طرّيةً كما جاءَتنا في صريح الكتاب وصحيح السنّة.

٢ ـ التحاكم:

وهو أمْرٌ جليلٌ عظيمٌ من أهمّ أُمور ديننا الحنيف، ينبغي تصفيتُه ـ اليومَ ـ مِمّا عَلَقَ فيه من شوائبَ أذهبت بهاءَه وأطفأت نوره.

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢١٤ و ٢٢٤) والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣) وابن ماجه (٢١١٧) والبيهقي (٣/ ٢١٧) وفي سنده الأجلح بن عبدالله، وهو صدوق كما قال الحافظ، فالحديث حسنٌ.

(٢) وهو البوصيري صاحب «البردة» و «الهمزية» وغيرهما من شعر المديح المليء بالغلو والإطراء المسرف!!

(٣) «تيسير العزيز الحميد» (٦٠٢) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب.

فلا حُكْمَ - بحقٍّ - إلاّ لله ، ولا احتكام بحقّ إلاّ إلى الله ، فلقد أنزل اللهُ سبحانه كتابَه للنّاس كافّة ليكون هو مصدر التشريع ، وإليه الرجوع عند التنازع والاختلاف ، وليكون حَكَماً عَدْلاً في كُلِّ شأن من شؤون الحياة.

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إنّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لتحكم بين الناس بما أَرَاكَ اللهُ** ﴾ [النساء : ١٠٥].

وقال سبحانه : ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يَتحاكَمُوا إلى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُروا بِهِ** ﴾ [النساء : ٦٠].

وقال عزّ شأنه : ﴿ **أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ** ﴾ [المائدة : ٥٠].

فالحكم حقٌّ للهِ تبارك وتعالى ، مَن اعتدى عليه كان معتدياً على حقٍّ من أعظم حقوق الله ، بل إنه مُدَّعٍ مشاركةَ الله في حكمه ، قال سبحانه : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ شَرَعُوا لَهُمْ من الدين ما لم يَأْذَنْ بهِ الله** ﴾ [الشورى : ٢١].

«وهنا أَمرٌ يجب أن يُتَفَطَّن له ، وهو : أنّ الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملّة ، وقد يكون معصيةً : كبيرةً أو صغيرةً ، ويكون كفراً : إمّا مجازيّاً ، وإمّا كفراً أصغر ، على القولَيْنِ المذكورَيْنِ ، وذلك بحسب حال الحاكم ، فإنّه إنِ اعتقد أنّ الحكم بما أنزل اللهُ غيرُ واجبٍ ، وأنه مُخَيَّرٌ فيه ، أو استهان به مع تيقُّنِهِ أنه حكم الله : فهذا كفرٌ أكبرُ ، وإنِ اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله ، وعَلِمَهُ في هذه الواقعة ، وعَدَلَ عنه مع اعترافه بأنّه

مستحقٌّ للعقوبة، فهذا عاصٍ ويسمى كافراً ـ كفراً مجازياً، أو كفراً أصغر ـ وإنْ جَهِلَ حُكْمَ اللهِ فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطىءٌ، له أجرٌ على اجتهاده، وخطؤه مغفور»[1].

فالخلاصةُ أنَّ كُلَّ احتكامٍ إلى غير الله مهما كان نوعُه، ومهما كان اعتقادُ المحتكمين فيه، فهو منكرٌ لا يرضاه مسلمٌ ارتضى اللهَ ربّاً، والإسلامَ ديناً، ومحمداً ﷺ نبياً رسولاً، فَلْيُصَفِّ كلُّ واحدٍ منّا نفسَه ومَن يعولُه وما يستطيعُه من شوائب الحكم بغير ما أنزل الله حتى يأتي أَمْرُ الله تعالى أو يأْذن اللهُ سبحانه بالنَّصْر من عنده.

٣ ـ السنّة:

ولقد وَصَلَتْنا بالأَسانيد[2] في كُتُبٍ معروفةٍ، ومصنَّفات مخصوصة، تعدّدت أنواعها، واختلفت أقسامها إلى ما يُقارب الخمسين نوعاً من التأليف والتصنيف، ابتداءً من «الجوامع» و «المسانيد» و «الصحاح» ومروراً بـ «الفوائد» و «الأفراد» و «المصطلح» وانتهاءً بـ «الأَطراف» و «العوالي» و «الزوائد» و «المسلسلات»!!

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٣٢٤) ابن أبي العزّ الحنفي، وبمثل هذا التفريق ـ تماماً ـ يكون الحكمُ الصحيح على مَن ترك الصلاة ـ عياذاً بالله ـ جمعاً بين النصوص، وتوفيقاً بين أحكام الشريعة، إذ لا يخفى أن إطلاق الكفر والشرك دون قطع وتثبُّتٍ من أعظم الأُمور عند الله، لذا ينبغي التثبُّتُ والتأنّي قبل إصدار أحكام الشرك والكفران على الناس دون رادع من الله.

(٢) جمع إسناد، وهو: سلسلة الرواة الموصلة إلى نصّ الحديث.

«وهـذه هي بعض المجـالات التـي كان يخوضهـا عُلمـاءُ الحديث والأثر، تأليفـاً ودراسـةً، وهـو يدلُّ علـى هِمَـمٍ عاليةٍ، وعقول مُتَفَتِّحة خَصْبة واسعة الآفاق، وإذا كان يحقُّ للأُمة أن ترفع رءوسهـا، وتعتزّ بأسلافهـا: فبهؤلاء العباقـرة وبعلومهـم الواسعـة النافعة، وعقولهم النيِّرة المُتَفَتّحة، في الوقت الـذي كان غيرهـم ـ ولا يزال ـ يبذلون جهودهم في الحِجْر على العقول، ودفع الأُمّة إلى الجمود القاتل المُؤَدّي إلى الهلاك والضياع والفناء»[1].

وإذا فهمنا هذا الذي سبق ووعيناه وجب علينا أن نعرف أنَّ «القاعدةَ عند علماء الحديث [في كتبهـم] أنَّ المحـدّث إذا ساق الحديث بسنـده، فقـد برئـت عهدتُـه منـه، ولا مسؤولية عليه في روايته، ما دام قد قَرَن معه الوسيلةَ التي تُمَكِّنُ العالم من معرفةِ ما إذا كان الحديثُ صحيحاً أو غيرَ صحيح، ألا وهـي الإسناد»[2]، فلا بُدَّ ـ إذاً ـ من تصفية هذه الأَحاديث ودراسة أسانيدها ومتونها حتى نميز الخبيث من الطيب، ولئلاّ نقـع تحـت قولـه ﷺ: «مَـن حَدّث عنّي بحديث يُرى أنّه كذب فهو أحد الكاذبين»[3].

وليس يخفى على أحدٍ الانتشارُ الـكبيرُ للأَحـاديث الضعيفـة والموضوعة بين مختلف طبقات الناس من عوامّ ومتعلّمين، فضلاً

(١) «مكانة أهل الحديث» (ص ١٨) ربيع بن هادي.

(٢) «من كنوز السنّة» (١٥٤ ـ اقتضاء العلم العمل) مقدمة المحقق الشيخ ناصر الـدين الألباني.

(٣) رواه مسلم في «مقدمتـه» (٤) والترمـذي (٢٦٦٤) عن المغيرة، وفـي البـاب عن سمرة وغيره.

عن الوعـاظ والمـؤلفين، «ولـكنّ الله تبـارك وتعالـى سخّـر لهـذه الأحاديث طائفـة من الأئمة بيّنوا ضعفَها[١]، وكشفوا عَوَارها»[٢].

فإذا تتبّعتَ ـ أخي المسلم ـ كلام أهل العلم الموثوق بهـم في معرفة الأحاديث الضعيفة وَجَبَ عليك تجنُّبُها والتحذير منهـا، «وبذلك تستعدّ نفسك لِتَقَبُّل ما يُلقى إليك من الأحـاديث الأخـرى الصحيحة، وإحلالهـا من قلبـك المحـلَّ اللائـقَ بهـا من القَبـول والعمل، وحينئذ تصفو روحُك، ويستنير لُبُّك، وتنجو من الأمراض الخفيّة التي كانت ألَمَّتْ بك، بسبب سيطرة الأحاديث الواهية التي يقترن بها ـ دائماً ـ التصـديقُ بالخرافـات والتّرهـات والأَبـاطيل، فضلاً عن الأَحكام والآراء المخالفة»[٣].

أمّا ما قاله بعضُ الكتّـاب عن تصـفية السنّـة: «إن السـلف الصالح قد أغنانا عن كثير من هذا العَنَاء وترك لنـا ثروة هائلـة في علوم الحديث ومصطلحه»[٤] فهو قولٌ يقطر جهلاً، إذ هل يكفي وجود علوم الحديث ومصطلحه «نظرياً» دون «تـطبيق عملـي» لقواعـد هذه العلوم الشريفة؟!

---

(١) وأمّـا ما يدنـدن حولـه بعضُ الجهلـةِ ـ اليومَ ـ من انقطــاع عملية تصـحيح الأحاديث وتضعيفها تقليداً منهم لمن قال بانقطاع الاجتهاد الفقهي، فهو كلامٌ باطلٌ لا قيمة له عند التحقيق العلمي المتين، وانظر ـ لزيادة التفصيل ـ رسالتي «حوار مع الحبشـي ومريديه»!

(٢) «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٦)، محمد ناصر الدين الألباني.

(٣) «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٢/ ٣٠٢)، محمد ناصر الدين الألباني.

(٤) «الدعوة الإسلامية فريضة شرعية...» (ص ٨٩)!!

وهل ـ حقّاً ـ أغنانا السلف عن «كثير من هذا العناء» في تصفية السنة؟؟

وهل وقى الكاتبُ نفسَه «من هذا العناء» في رسالته هذه؟!

ليس هذا محلَّ تفصيل الرد على هذا المُدَّعي، إنما محلّه رسالتي «الرد المبين...» المشار إليها قَبْلُ!!

ومن أَوضح أَمثلة الأحاديثِ الضعيفة والموضوعة، وفُشُوِّها بين الناس ما ينسبونه إلى رسول الله ﷺ عن ربّه أنه قال: «ما وسعني أرضي ولا سَمَائي، ولكن وسعني قلبُ عبدي المؤمن».

وهو حديث باطلٌ «وضعته الملاحدة»[1].

وقال العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ١٤): لم أر له أصلاً.

وقال ابن تيمية في «أحاديث القُصّاص» (ص ٦٨): هذا مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ.

قلتُ: وفي هذا الحديث مصادمة صريحة لِمَا أوردته آنفاً في الكلام عن التصفية في العقيدة.

ويروي بعضُهم عن ابن عباس أنه روى عن النبي ﷺ قولَه:

«تعتري الحِدَّة خيار أُمتي»، وهو حديث رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٣٣٢) و(١١٤٧١) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١٤٨) وأبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (٢/ ٦١)

(١) كما قال الزركشي، ونقله عنه علي القاري في «الأسرار المرفوعة» (ص ٢٠٦).

والخطيب في «تاريخه» (١٤/ ٧٣) من طريقين عنه، وفي إسناد الطريق الأولى سلام الطويل: متروك، وفي إسناد الطريق الثانية محمد بن الفضل: كذاب.

وله شاهد لا يُقوّيه عن أبي منصور الفارسي مرفوعاً، رواه أبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (٢/ ٧) وسنده ضعيف.

وحكم شيخنا الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء في الأُمّة» (رقم: ٢٦) على الحديث بأنه: ضعيف، ثم قال: «ومِن آثار هذه الأحاديث السيئة أنها توحي للمرء بأن يظلّ على حِدّته، وأن لا يُعالجها لأنها من خُلُقِ المؤمن، وقد وقع هذا، فإني ناظرت شيخاً متخرجاً من الأزهر في مسألة... فاحتدّ في أثنائها، فأنكرتُ عليه حِدَّته، فاحتجّ عَلَيّ بهذا الحديث! فأخبرته بأنه ضعيف، فازداد حِدَّة، وافتخر عَلَيَّ بشهاداته الأزهرية[1]، وطالبني بالشهادة التي تُؤهّلني لأن أُنكر عليه! فقلت:

---

(١) كما فعل الدكتور سمير ستيتية في مقاله «لا نبتغي الجاهلين!» المنشور في جريدة اللواء الأردنية الصادرة بتاريخ ٦/ ٢/ ١٩٨٥ إذ قال متبجّحاً: «... إنني أحمل درجتين في الشريعة إحداهما من كلية دار العلوم التي تخرّج فيها الإمام حسن البنا والشهيد سيّد قطب رحمهما الله ورضي عنهما، وثانيتهما من معهد الدراسات الإسلامية في القاهرة...» قلتُ: ولقد رددت على مقاله كُلِّهِ بمقالات خمسة طويلة جعلت عنوانها «إن التعصب عدوّ صاحبه» ونشرت هذه المقالات في الجريدة نفسها، وعسى أن نطبعها مفردةً قريباً إن شاء الله ليعمّ بها النفع، ولكنّي أزيد على ما قلته هناك فأقول:

أ ـ وصفه للشيخ البنا بـ «الإمام» وللأستاذ سيد قطب بـ «الشهيد» كلاهما لا يجوز كما بينته في بعض رسائلي التي تُطبع الآن.

ب ـ قوله: «ورضي عنهما» لا يجوز أيضاً، إذ هو ـ اصطلاحاً ـ خاصٌّ بالصحابة =

قوله ﷺ : «مَن رأى منكم منكراً . . . » الحديث»[1] .

فلا بُدَّ إذاً ـ والحال هكذا ـ من تكاتف الجهود العلمية لتصفية كتب السنة مما هو دخيلٌ عليها من أحاديث ضعيفة، وأخبار واهية، وآثار مكذوبة، حتى ترجع السنّة بيضاءَ نقيّة كما نطق بها النبي ﷺ .

وإنّنا لَنَرى اليومَ ـ ولله الحمد ـ عودةً قويّة للسنّة النبوية وتصفيتها حتى «اتجهت دوائر البحث العلمي [في الجامعات] تدقّق في تحري الباحثين لصحة الحديث وتخريجه»[2] .

٤ ـ الفقه :

وهو ذخيرةٌ ضخمة من ذخائر علمائنا المسلمين، تدلُّ على

= رضي الله عنهم .

جـ ـ افتخاره بالشهادات يُنافي رأي الشيخ البنا فيها كما في كتابه «مذكرات الدعوة والداعية» (ص ٣٢ ـ ٣٣) فتأمل .

د ـ بعد كتابة المقالات المشار إليها وقفت على مقال قديم للدكتور ستيتية كتبه حين كان تلميذاً في جامعة ميشيغان الأمريكية (!!) نَشَرَتْهُ جريدة اللواء أيضاً بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٩٨٣، كان مِمّا قاله فيه : «كلمة «دكاترة» جمع تكسير لمفرد مجهول الحقيقة والهوية، فارغ من كل مضمون، إلا مضمون واحد [كذا قال، وهو خطأ ظاهر، صوابه : مضموناً واحداً] وهو أنّ الدكتوراه قد يحصل عليها العالم والجاهل سواء بسواء» انتهى المراد منه، وكان قد قال في مقدمة مقاله هذا نفسه : «فالقارىء يهمه في الدرجة الأولى ألاّ يُناقض الكاتب نفسه» . انتهى . قلتُ : فلماذا هذا التناقض إذاً؟ ولا حول ولا قوّة إلا بالله !!

(١) رواه مسلم (٤٩) وأبو داود (١١٤٠) والترمذي (١١٧٣) والنسائي (٨/ ١١١) وابن ماجه (١٢٧٥) وأحمد (٣/ ١٠ و ٢٠ و ٥٢ و ٩٢) عن أبي سعيد الخدري .

(٢) «الاتجاه السلفي» (ص ٢٦) راجح الكردي! وصدق من قال : «والفضلُ ما شهدت بهِ . . . »!!

سعة أُفقٍ، وشمول نظر، لكنّه قد طرأ عليه مسألتان مُهمتان، أنجبتا مشكلةً كبيرة، أما المسألتان فهما:

أ ـ التقليد ووجوبه: حيث عبّر عن ذلك ناظم «الجوهرة» بقوله:

فواجبٌ تقليدُ حبرٍ منهمُ كذا حكى القومُ بلفظ يُفهمُ

والتقليد هو الأَخذ بقول الغير دون دليل، وهو باطلٌ عند الأئمة الأربعة، كما قال أبو حنيفة: «لا يحلّ لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه»[1].

وقال مالك: «إنما أنا بشر أُخطىء وأُصيب، فانظروا في رأيي، فكلُّ ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»[2].

وقال الشافعي: «كل ما قلت وكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصحّ، فحديث النبي ﷺ أَوْلى، ولا تُقَلّدوني»[3].

وقال أحمد: «لا تُقَلّد دينك أحداً من هؤلاء! ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعين ـ بَعْدُ ـ الرجلُ فيه مُخَيّرٌ»[4].

---

(١) «الانتقاء» (ص ١٤٥) ابن عبد البرّ.

(٢) «جامع بيان العلم» (٢/ ٣٢) ابن عبد البرّ، وما أجملَ ما قاله أخونا الفاضل مراد بن شكري:

والفقهُ إنّ الفقهَ دون دليلهِ كالخبط في أرضٍ بكل مزالقِ

(٣) «آداب الشافعي ومناقبه» (١/ ٦٦) ابن أبي حاتم.

(٤) «مسائل أحمد» (٢٧٧) أبو داود.

ولقد قال الشيخ محمد أحمد العدوي في شرحه السلفي «الجديد على جوهرة التوحيد» (ص ١١١) معلّقاً على نظم اللقّاني: «فلا نعرف للمصنف سَلَفاً في وجوب تقليد إمام مُعَيّن . . .» .

ب ـ إغلاق باب الاجتهاد: إذ «لمّا تغلغل المذهب في سويداء قلوب المقلّدة، وغرز التقليد الجامد براثنه في جسم الأُمة، وفرّطوا في القيام بالاجتهاد في المسائل، واعتمدوا على الاحتكام إلى مذهب من المذاهب، مهما كان دليله قوّةً وضعفاً، نادوا بسدّ باب الاجتهاد في منتصف القرن الرابع بدون دليل وبدون حقّ»[1] .

فهذا القول «في غاية الفساد، وكيد للدين لا خفاء به، وضلال مغلق، وكذب على الله تعالى، إذ نسبوا ذلك إليه، أو دين جديد أَتونا به من عند أنفسهم ليس من دين محمد ﷺ في شيء»[2] .

وما أجملَ كلمة الحافظ الذهبي حيث قال:

«يا مُقَلِّد! ويا مَنْ زعم أن الاجتهاد قد انقطع وما بقي مجتهد: لا حاجةَ لك في الاجتهاد بأُصول الفقه، ولا فائدة في أُصول الفقه إلا لمن يصير مجتهداً به، فإذا عرفه ولم يفكّ تقليد إمامه لم يصنع شيئاً، بل أتعب نفسه، وركّب على نفسه الحُجَّة في مسائل»[3] .

(١) مقدمة الاخ صلاح الدين مقبول لـ «إرشاد النقاد» (ص ٢٥).

(٢) «الإحكام في أصول الأحكام» (٤/ ٥٧٢) ابن حزم.

(٣) «الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض» (١٥٣) للسيوطي.

أمّا المشكلة الناتجة عن هاتين المسألتين، فهي:

(التعصّب):

فنرى أبا الحسن الكَرْخي يقول: «كل آية تخالف ما عليه أصحابُنا فهي مُؤوَّلة أو منسوخة، وحديث كذلك فهو مُؤَوّل أو منسوخ»[1].

وهذا كلامٌ باطلٌ إذ «الحقّ يستحيل أن يكون وَقْفاً على فئةٍ مُعَيَّنةٍ دون غيرها، والمنصف مَنْ دَقّقَ في المدارك غاية التدقيق»[2].

ولقد أدّى هذا إلى أن يقول صاحب «مراقي الفلاح» (ص ٢١) عن ماء البئر النجس الذي وقع فيه حيوان مات وانتفخ، قال: «فإنْ عُجن بمائها يُلقى للكلاب، أو تعلف به المواشي، وقال بعضهم: يُباع لشافعي»!!

وقال محمد بن موسى البلاساغوني: «لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعية»[3]!!

حتى وصل الأمر أن انتشر الخراب والفساد في أصبهان ـ يوماً «لكثرة الفتن والتعصب بين الشافعية والحنفية، والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلّما ظهرت طائفةٌ نهبت محلَّةَ الأُخرى،

(١) «تاريخ التشريع الإسلامي» (ص ٣٣٢) للخضري.

(٢) «الجرح والتعديل» (ص ٣٢) القاسمي.

(٣) «ميزان الاعتدال» (٤/ ٥١) للذهبي.

وأحرقتها، وخَرّبتها، لا يأخذهم في ذلك إلٌّ ولا ذمة»[1].

فواجبٌ ـ والحالةُ مزريةٌ هكذا ـ تصفية الفقه الإسلامي ممّا شابه من اجتهادات مخالفة للكتاب أو السنّة[2]، أو إطلاق أحكام باطلة دون دليل أو برهان، مثال ذلك ما قاله ابن عابدين في «حاشيته» (١/ ٣٠٢): «وفي «البحر» عن «عُدّة الفتاوي»: الكعبة إذا رفعت عن مكانها لزيارة أصحاب الكرامة!، ففي تلك الحالة جازت الصلاة إلى أرضها!!»

٥ ـ التفسير:

وهو علمٌ عظيمٌ ينبغي ألاّ يخوضَ فيه إلا العارف بمدارك الكتاب والسنة، الفاهم حقيقة لغة العرب، المطّلع على ناسخ القرآن ومنسوخه، وأحكامه وآدابه.

ولكنّ الواقع الذي نُعايشه مع كتب التفسير هو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«وهذه الكتب التي يُسَمّيها كثير من الناس كتبَ التفسير، فيها كثير من التفسير منقولات عن السلف مكذوبة عليهم، وقول على الله ورسوله بالرأي المجرّد بل بمجرد شبهة قياسية أو شبهة أدبية، ومعلوم أن في كتب التفسير من النقل عن ابن عباس من الكذب

(١) «معجم البلدان» (١/ ٢٠٩) ياقوت.

(٢) وهذا يستلزم إبطالَ التقليد وردَّه، وإثبات مرتبة «الاتّباع» وهي المرتبة الوسطى بين التقليد والاجتهاد، وهي تعني قبول ما ثبتت عليه حُجَّة، كما قاله ابن خُوَيْز مَنْداد، ونقله عنه صاحب «إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن» (ص ٩١٩) للسنوسي.

الشيء الكثير. . . فلا بد من تصحيح النقل لتقوم الحجّة. . . »[1].

ولنضرب مثالاً على ذلك بقصة مشهورة قلّما يخلو منها كتاب من كتب التفسير، وهي قصة ثعلبة بن حاطب، إذ يذكرون أنه كان صحابياً عاهد الله أن يرزقه مالاً، ثم أن الله تعالى آتاه المال، ولم يُوَفِّ ذلك الإنسان عهده، ولم يدفع زكاة ماله، فوصفه الصحابة الآخرون بالنفاق إذ لم يقبل رسول الله ﷺ أخذ زكاته ولا أبو بكر ولا عمر، حتى هلك في خلافة عثمان رضي الله عنه، ولا يخفى أنَّ في القصة اتّهاماً فظيعاً لصحابيّ جليل شهدَ بدراً[2].

ولقد أوردها الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٢٠٣) وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٧٢) والرازي في «مفاتيح الغيب» (١٦/ ١٣٠) والخازن في «تفسيره» (٣/ ١٢٦) والبيضاوي في «أنوار التنزيل» (٣/ ٧٥) والشهاب في «حاشيته» (٤/ ٣٤٦) وابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٧٣) والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٦٠) و«الإكليل» (ص ١٢١) وأبو السعود في «تفسيره» (٤/ ٨٥) وغيرُهم كثيرٌ دون أنْ يُنَبّهوا إلى بطلانها أو يتكلموا في نكارتها.

ولقد تكلّم جهابذة الحديث ونقّاده في هذه القصة بكلام محكم متين لا يستطيع أحدٌ أن يسمعه إلاّ ويسلم به، جمعه وآلفه

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٨٩).

(٢) انظر «الثقات» (٣/ ٣٦) لابن حبان، و«الدرر» (ص ١٢٢) لابن عبد البرّ، و«جمهرة أنساب العرب» (ص ٣٣٤) لابن حزم، و «الإصابة» (١/ ١٩٨) لابن حجر، وغيرها.

وعلّق عليه أخونا الفاضل الشيخ سليم الهلالي برسالة اسمها «الشهاب الثاقب في الذبّ عن الصحابي ثعلبة بن حاطب» وهي مطبوعة.

ولقد ضعّف القصة وأنكرها ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٢٦٦) والعراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٢٦٦) والمناوي في «الفيض» (٤/ ٥٢٧) وابن حزم في «المحلى» (١١/ ٢٠٧) وابن حمزة في «البيان والتعريف» (٣/ ٦٦) وشيخنا الألباني في «ضعيف الجامع...» (٤/ ١٢٥) وغيرهم.

وإنني أوردتُ هذه القصة وأطلتُ ـ نسبياً ـ في الكلام حولها «حتى يتبين مَن لم يكن له بصيرة في كتب التفسير بأنها تحوي الغثَّ والسمين، وعلى قارىء التفسير أن يعود في اختيار ما يقرأ منها إلى عالم بالكتاب والسنّة»[1].

فهي ـ حقاً ـ بحاجة ماسّة إلى تصفية حتى تذهب أمثال هذه القصة فضلاً عن الكثير غيرها مِمّا يُشَوِّه جمال كلام الله سبحانه بإخراجه من طبيعته الإلٰهيّة إلى تفسيرات باطلة وتأويلات مستنكرة!!

ويدخلُ في التصفية لكتب التفسير الردُّ على مخالفي الحقِّ من المفسرين، كما فعل كثيرٌ[2] من دُعاة أهل الحديث بالشيخ محمد

(١) «ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه» (ص ٥٠) عداب الحمش.

(٢) مثل شيخنا الألباني، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ سفر الحوالي، والشيخ محمد زينو، وغيرهم.

علي الصابوني وكتاباته التفسيرية التي في كثير منها خروجٌ عن حادّة الفهم القويم لكلام الله العظيم.

وكما فعل أيضاً الأخ الفاضل الشيخ محمد عبد الرحمن المغراوي في كتابه «المُفسِّرون بين التأويل والإثبات لآيات الصفات» إذ تكلّم عمّا يُقارب الثلاثين «تفسيراً»، بَيَّنَ من خلاله أن أكثر من ثلثيّ هؤلاء المفسرين مخالفون للحقّ، فكان من بينهم: الثَّعْلَبي، والرازي، والبَيْضاوي، والنَّسَفي، وأبو السُّعود، وسيد قطب، وفريد وجدي، والصابوني، والمَرَاغي، وغيرهم.

فإذا كان هؤلاء كلُّهم ذوي تفاسيرَ مخالفةٍ لمنهج السلف الصالح، فالواجبُ - إذاً - تصفيتُها مِمّا فيها من أغلاط «حتى يتجنّبَ القارىءُ الخطأ ويأخذَ بالصواب، والخطأُ في هذا الباب ليس بالسهل اليسير، ولكنّه خطأٌ في صفات الله»[1] فضلاً عن غيرها من أحكام الشريعة المختلفة، وتقريراتها المتعدّدة.

٦ - التزكية:

وهي ما يُسَمّيه «البعض» بـ «التصوّف»، وهي «إحدى المهمات التي من أجلها بُعث الرسولُ ﷺ، بل هي غاية الرسالات وثمرتها»[2]، فقد قال الله تعالى: **﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ في الأُمِّيِّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته وَيُزَكّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَإنْ كانوا مِنْ قَبْلُ لَفي ضَلاَلٍ مُبين﴾** [الجمعة: ٢].

(١) «المفسرون بين التأويل...» (١/ ٨) للمغراوي.

(٢) «الأصول العلمية للدعوة السلفية» (ص ٣٨) عبد الرحمن عبد الخالق.

«والعبادات كلُّها مالية أو بدنية ما هي إلاَّ عمليات تزكية، لأنها تربط القلب بالخالق سبحانه وتعالى وتُذَكِّره به، وبذلك تحصل التقوى للقلب، وَمَنِ اتّقى وخاف ربّه ابتعد عن المُحَرَّمات، والمُحَرَّماتُ قاذوراتٌ، وفِعلُ الخيرِ طيبٌ وإحسانٌ وبِرٌّ وعدلٌ»[1].

إذا علمنا هذا «فيجب علينا أن نعلم أيضاً أنه ﷺ قد أتمَّ هذه التزكية منهجاً وعملاً، لأنَّ الله أتمَّ دينَه ونعمَته على رسوله والمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً**﴾ [المائدة: ٣] ومعنى هذا أنه لا يجوز الابتداع[2] فيها كما هو الشأن في جميع شؤون التقرّب؛ وذلك أن الابتداع في العبادة يُؤَدّي إلى الفساد والانحلالِ فضلاً عن أنه مرفوضٌ غيرُ مقبولٍ عندَ الله سبحانه وتعالى»[3].

لكنَّ الأمرَ الواقعَ الذي لا ينكرهُ أحدٌ أبداً أنَّ شرّاً مستطيراً، وخَطَراً وبيلاً، وبلاءً عظيماً قد دخل «مناهج إصلاح النفس التي اندرجت تحت اسم «التصوف» فَجَمَعَتْ في طيّاتها بلاءً لا حصر له

(١) المرجع السابق.

(٢) وقد وردت في ذم البدع آثار كثيرة، منها قوله ﷺ: «.. وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» رواه عن جابر بن عبدالله مسلمٌ في «صحيحه» (٣/ ١١) وأحمد (٣/ ٣٧١) وزاد النسائي (١/ ٢٣٤) والبيهقي (٣/ ٢١٤): «وكل ضلالة في النار»، وسندها صحيح كما قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٣/ ٥٨)، فَمَنْ هَوَّن مِنْ أمر البدع والمُحْدثات لم يفقه حقيقة دين الله سبحانه، ولم يفهم أصوله التي بُني عليها.

(٣) «الأصول العلمية» (ص ٤٤ ـ ٤٥).

ولا حدّ، وامتدّ الفسادُ من حقل الأخلاق والتعبّد إلى وَضْعِ الحديث وإفسادِ العقيدة وتحطيمِ الشرع الذي سَمَّوْهُ بـ «الظاهر» وفَتْح الباب للخرافات والخُزَعبلات والتُّرَّهات، ثم وقوعِ الشرك وعبادةِ غير الله سبحانه وتعالى، ثم الفلسفاتِ الهالكة، كالقول بوحدة الوجود والحلول، وغير ذلك من عقائد الفرس والهنادك، ثم إسقاط التكليف جملةً»[1] وغير ذلك مما جَرَّته لنا المناهج الدخيلة على «التزكية» تحت أسماء زائفة مثل «التصوف» و «التربية الروحية» وغير ذلك.

ولنستمع - مثلاً - إلى الشيخ سعيد حوّى في كتابه «تربيتنا الروحية» (ص ٢١٧) حيث يقول في معرض كلامه عن كرامات أصحاب الطريقة الرفاعية: «وقد حَدَّثني مرة نَصْرانيٌّ عن حادثة وقعت له شخصياً، وهي حادثة مشهورة معلومة، جمعني الله بصاحبها شخصياً بعد أن بلغتني الحادثة من غيره، وحدّثني كيف أنه حضر حلقة ذِكْرٍ، فضربه أحد الذاكرين بالشّيش[2] في ظهره، فخرج الشيش من صدره حتى قبض عليه بيده، ثم سحب الشيش ولم يكن لذلك أثراً[3] أو ضرر، إنَّ هذا الشيء الذي يجري في

(١) المرجع السابق.

(٢) والشيش عبارة عن عمود حديدي يقارب طوله المتر، مُدَبَّبِ الرأس حادُّه، ولقد حدث معنا مرة شيءٌ شبيهٌ بهذا، إذ سمعنا بمن يضرب الشيش هذا من أبناء الطريقة الرفاعية في المفرق - إحدى مدن الأردن - فذهبتُ مع مجموعة من الأخوة مرتين، الأولى للنظر في أحوالهم، والثانية لمناظرتهم والنقاش معهم، فلم يعجبْ شيخَهم الكبيرَ موقفُنا معهم، فغضب غضباً شديداً، وبدأ يصيح، ويُثير مُريديه علينا حتى همّوا أن يفتكوا بنا لولا أنّ الله سبحانه سلَّم، فله الحمد سبحانه.

(٣) كذا قال، وهو خطأٌ، صوابه: أثر.

طبقات أبناء الطريقة الرفاعية، ويستمرّ فيهم هو من أعظم فضل الله على هذه الأمّة، إذْ مَن رأى ذلك تقوم عليه الحجة بشكل واضح على معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء».

«إنّ أثرَ التزوير ظاهرٌ على هذه القصّة، فهي من رواية نصراني، والعجيب الغريب أنه بطل هذه القصة، فلماذا لم يُسلم وقد قامت عليه الحجة؟! ثم هل يصح أن نصدق كافراً؟ إن علماء الإسلام ردّوا روايات الراويْ المسلم إذا كان ضعيفاً، فكيف برواية نصرانيٍّ مشركٍ الله أعلم بحاله؟!»[1].

قلتُ: هذه نقطةٌ من بحرِ ما دخل في التزكية من أباطيلَ وخرافاتٍ صوفية فلسفيّة، يجبُ تصفيتُها وتنقيتُها حتى ترجع التزكيةُ سبيلاً واضحاً لا لبس فيه ولا غبار عليه.

٧ ـ الفِكْر[2]:

وهو مادّة الفهم عند فئات الناس كافّة، على اختلاف مستوياتهم، وتبايُن أفكارهم.

ولقد كان الفِكْرُ في صدر الدولة الإسلامية واحداً ذا منهج

(١) «مؤلفات سعيد حوّى: دراسة وتقويم» (ص ٧٩) سليم الهلالي - بتصرف. وقال الشيخ عبد العزيز القاري في «العقيدة أولاً..» (ص ٤٧): «لقد رأيت بنفسي في أحد شوارع الإسكندرية قوماً من المشعوذين يبتلعون النار، ويُضرب أحدهم بالسيف في بطنه حتى يخرج من ظهره، مع أنهم لا ينتمون إلى أي طريقة صوفية، وربما رأى بعض الناس في بلاد الهند بعض المجوس يفعلون أكثر من ذلك.. الكرامة تجري على يد الفسّاق!! إذن كيف نفرّق بين الكرامة وبين الشعوذة؟ وأعمال السحرة والكهّان؟!»!!

(٢) وهو مستلزمٌ للدعوة أيضاً، إذ كلُّ صاحب فكرٍ يدعو إليه، وينافحُ عنه!

موحّد: هو الكتاب والسنة، لكنه اليومَ ـ كما أسلفتُ ـ ذو شُعَب شتّى، وجوانب متعدّدة.

ويُمكن أن نحصر اختلافَ الفِكْر الذي تُعانيه الأمةُ الإسلاميةُ اليومَ من الداخل أو الخارج في ثلاثة شُعَب:

أ ـ **الفكر الكافر**: وهو يتمثّل بعدّة تيّارات، أهمّها، التيّار الشيوعي، والتيّار الماسوني، وهما تيّاران يقومان على نقض الدين من أساسه، لكنْ.. بطرق لولبية، وأساليبَ حلزونيّة، تجذب الأغْمار من الشباب الذين فَتَنَتْهُمُ الدنيا بزخرفها.

ب ـ **الفكر المرتدّ**: وهو يتمثل بعدّة تيّارات أيضاً، أهمّها التّيار القاديانِي[1]، والتّيار البهائي، وهما تيّاران قائمان على ادّعاء النبوّة، وهم يعتقدون نبوّة المرزا غلام القادياني، وعلي محمد رضا البهائي، بل يزيدون على ذلك أنهما أعظم من الأنبياء جميعاً، ولهم طقوسٌ خاصةٌ بهم، واعتقاداتٌ شركيَّةٌ عدّة، وغير ذلك من أفكار مُريبة[2].

---

(١) ورأسَهَ المرزا غلام أحمد القادياني، ولقد تحدّى غلاماً هذا العالمُ السلفيُ ثناءُ الله الآمرتسري سنة (١٣٢٦ هـ) بأنّ من يكون كاذباً منهما وعلى باطل يسبق صاحبه إلى الموت، ويُسلّط الله عليه داءً كالطاعون، فابْتلي المرزا بهذا الداء بعد مدة قليلة ومات، أما الشيخ ثناء الله، فقد عاش بعد هذا أربعين سنة. ملخّصاً من «نزهة الخواطر» (٨/ ٩٦) للعلامة عبد الحي الحسني.

(٢) ومِنْ مفتريات البهائية كلامهم حول الرقم (١٩) وأنّ في القرآن الكريم إعجازاً عددياً عظيماً له صلة بالرقم (١٩) كما فصّله أحد كبار دعاتهم وهو المدعو «الدكتور رشاد خليفة» في رسالته «عليها تسعة عشر» ثم في كتابه الكبير «معجزة القرآن الكريم»، وسبب ذلك كلّه أنهم يقدّسون الرقم (١٩) إذ هو عدد الذين تجمّعوا حول «الباب»، =

جـ ـ **الفِكْر المنحرف** : وهـو كُلُّ فكرٍ ابتعـد عن نهـج أهـل الحديث في فهم الدين والدعوة إليه، فيكون مقدارُ انحرافه بقـدر بُعده عن ذلك النهج السديد في فهم الدين.

ولقد ضربتُ فيما مضى[1] مثلاً للانحراف في التزكية، وهـو يصلح لأن يكون ـ أيضاً ـ مثلاً للانحراف الفكري عنـد أصحـاب الدعوات الإسلامية.

وهنا أَذْكُرُ مثالَيْنِ آخَرَيْنِ من أمثلة الفكر المنحرف تتبنّاهما دعوتان إسلاميتان مشهورتان:

المثـال الأول : ما يزعمـه «البعض» من إنـكار[2] حُجّيّة الأحاديث النبويّة الصحيحة في العقيدة ما لم تكن مُتَواتـرة، وهـو قولٌ مُحْدَثٌ لا سَلَفَ للقائلين به سوى مقالاتٍ متفرقة للمتـكلّمين ظاهرةِ الضعف، واضحةِ التكلّف، وهم في ذلك خارقون لإجماع الصحابة على قبول الأحاديث النبوية في إثبات صفات الربّ جلّ وعلا، قال الحافظ ابن قيّم الجوزية في معرض رَدِّه على أمثال هذه الطائفة:

«.. وأمّا المقـام الثامـن: وهـو انعقـاد **الإجمـاع المعلـوم المُتَيَقَّن** على قَبول هذه الأحاديث وإثبات صفات الربّ تعالى بها،

= والكلامُ حولَهم يطولُ، إنما أردت التحـذير من فتنـة الرقـم (١٩) لوقـوع كثير من المسلمين في شباكه، وانظر كتاب «فتنة القرن العشرين» للأستاذ حسين ناجي محيي الدين ـ طبع الكويت، فإنه مفيد في الرد على فريتهم!.

(١) (صفحة: ٣٢).

(٢) «الدوسيّة» (صفحة ٥٨)!

فهذا لا يشكّ فيه مَن له أَقَلُّ خبرة بالمنقول . . . » إلى أن قال : « . . هذا أمرٌ يعلمه ضرورةً **أهلُ الحديثِ** كما يعلمون عدالة الصحابة وصدقهم وأمانتهم » ثم قال بعد إلزامهم بعدم الوثوق بنقل الدين كلِّه لنا :

« . . وحينئذٍ فلا وثوق لنا بشيء نُقل لنا عن نبيّنا ﷺ البتة ، وهذا **انسلاخٌ من الدين والعلم والعقل** »[1] .

فهذا الزعم ـ إذاً ـ جديرٌ بالنقض ، حقيقٌ بالرفض !

المثال الثاني : ما يزعمه « البعض » من **وجوب**[2] إعطاء البيعة ـ لأمير الجماعة عندهم ـ على السمع والطاعة في المنشط والمكره[3] ! !

· ولقد فصّلت القولَ في الرد على هذا الزعم الفاسد في رسالة مفردة بعنوان « البيعة بين السنّة والبدعة عند الجماعات الإسلامية » ، فكان ممّا قلتُه فيها (صفحة ٣٢) **بعد عدّة ردود** : « إذا

(١) « مختصر الصواعق المرسلة » (٢/ ٤٣٣) ، وانظر كتابه « الدلائل السديدة على حُجّية خبر الواحد في العقيدة » وتعليقي عليه ، يسرّ الله إتمامه ونشره بمنّه وكرمه ، ولشيخنا الألباني رسالتان مطبوعان في إثبات حجية خبر الآحاد ، فلتراجعا !

(٢) « مذكرات الدعوة والداعية » (ص ١٩٤) للشيخ البنا ، و « المدخل إلى دعوة الإخوان » (١٢٣) لسعيد حوى ، و « الدعوة الإسلامية فريضة شرعية » (ص ٨٨) لصادق أمين ! !

(٣) وبعد شهور من كتابتي لرسالة « البيعة » وقفتُ على رَدٍّ لبعض الكاتبين في إحدى المجلات الكويتية ، أقذع في القول ، وأساء فيه الأسلوب ، وابتعد عن نهج أهل العلم ، وقد كتبتُ ردّاً مفصّلاً « علميًا » عليه ، سألحقه في الطبعة الثانية من رسالتي « البيعة » إن شاء الله تعالى .

قلنا ـ جَدَلاً ـ **بجواز** مثل هذه البيعة، فهل هي خاصّة بفئة مُعَيّنة من الناس؟ أم أنها جائزة لجميع فئات الأمة وأفرادها؟ فإذا أجبنا عن السؤال الأول بالإيجاب، كان ذلك باطلاً، وتشريعاً لما لم يأْذن به الله، إذ لا وحي يُخَصّص أُناساً بشيء دون غيرهم بعد وفاةِ رسول الله ﷺ!! وإذا أجبنا عن السؤال الثاني بالإيجاب، فقد فرَّقنا أمر المسلمين، وَشَتَّتْنا شَمْلَهم، وَكَسَرْنا شوكتَهم، ومِن ثَمَّ فهو فتحُ بابٍ لا يُغلق لآلاف البَيْعات، فيأتي مَنْ شاء، يُبايع مَنْ يشاء، كيف شاء، متى شاء، وهذا من أبطل الأشياء!!».

إذاً لا بُدَّ من تصفية الفكر ـ داخلياً وخارجياً ـ حتى تتّضح حقيقةُ الشيوعية والماسونية، ويفتضحَ أمْرُ القاديانية والبهائية، ونعرفَ الصوابَ الواجبَ في الاستدلال بالسنّة في أمر العقيدة، ويتبيّن لنا ـ بقوة وثبات ـ أن البيعة لا تكون إلا للخليفة المسلم الذي استجمع الشروط الشرعية ليُقيم الحدود ويُنَفّذ الأحكام، وما سوى ذلك فهو باطلٌ باطلٌ، وحتى يظهرَ كلُّ دخيلٍ، وينكشفَ كلُّ زيف مِمّا له صلة ـ مِن قُرب أو بُعد ـ بفكرنا الإسلاميِّ الصافي[1].

٨ ـ التاريخ:

وهو «يُشَكّل جزءاً مما يُسمّى في عصرنا الحاضر بالعلوم

(١) ومن أمثلة الفكر المنحرف الذي قد يصل إلى درجة الردّة، فكرُ الشيعة الاثني عشرية الروافض ومَن على شاكلتهم، فهم يكفّرون عدداً من الصحابة، ويَدّعون تحريف القرآن الكريم، ويجعلون لأئمتهم مقاماً فوق مقام النبوة ومقام الملائكة، وغير ذلك من شرك صراح، وكفر بواح.

الإنسانية»[1]، لذا وَجَبَ أن يكون له أُصولٌ راسخة، وقواعدُ ثابتة حتى لا تدخله المفتريات، وتختلط به المنكرات، وهذا ـ فوا أسفي الشديد ـ ليس بواقع، بل هو مفقود.

ولقد طَالَبَ دكتورٌ نصرانيٌّ من المشتغلين بالتاريخ في كتابٍ له بعنوان «مصطلح التاريخ»[2] بتطبيق قواعد علم مصطلح الحديث على التاريخ عامّة، لِمَا في علم المصطلح من قوّة وتماسك، وشدّة وتثّبت.

ولقد أصابَ سهمُ التحريفِ والافتراء سيرةَ رسولِ الله ﷺ[3] وأصحابه من بعده، وخاصّة فيما يتعلّق بأيّام فتنة الصحابة[4] رضوان الله تعالى عليهم، فضلاً عمّا بعد ذلك من سِيَرِ المُصلحين الذين لم يركنوا إلى تراث آبائهم، بل أنكروا بقوّة كلَّ ضعفٍ أو خَوَرٍ أصاب الدين الإسلامي، فهؤلاء كان لهم حصّةٌ كبيرة من تحريف التاريخ.

ويكفينا أنْ نذكرَ ما أصاب شيخَ الإسلام ابنَ تيميّة رحمه الله

(١) «أخطاء يجب أن تصحح من التاريخ» (ص ١) جمال عبد الهادي ورفيقته.

(٢) (ص ٧).

(٣) كما في قصّة الغرانيق المفتراة، ولشيخنا الألباني رسالة مفردة في نَسْفها.

(٤) ولقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا..» رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٤٤٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٠٨) وابن عدي في «الكامل» (٢٤٩٠/٧) من طريقين، وله شواهد عن ثوبان وابن عمر، وعن طاوس مرسلاً، فهو بها حسن كما جزم شيخنا في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٣٤). وفسّره المناوي في «فيض القدير» (١/ ٣٤٧) بـ: «ما شجر بينهم من الحروب والمنازعات».

من تزوير ودسّ عليه حتى في حياته رحمه الله، لكنه بقي صامدا متجلّداً صابراً محتسباً.

فلقد قال الحافظ ابن عبد الهادي في «العقود الدرية» (ص ٢٠٤) عن بعض مجالس مناظرات شيخ الإسلام رحمه الله:

«.. واختلفت نُقول المخالفين للمجلس، وحَرّفوه، ووضعوا مقالة الشيخ على غير موضعها، وشَنّع ابن الوكيل...» إلخ.

ثم نقل عن ابن تيميّة قوله (ص ٢٠٩):

«أنا أعلم أن أقواماً يكذبون عَلَيَّ، كما قد كذبوا عَلَيًّ غير مرّة».

فتناقل بعض أهل التاريخ فِرْية ألصقها به خصمُه العنيد وغريمُه العتيد نَصْرٌ المَنْبِجِيٌّ، وهي أنه شرح حديثَ النزول[1]، ونزل عن المنبر قائلاً: كنزولي هذا[2]!!

فإذا بالرحّالة المشهور ابن بطوطة صاحب «الرحلة التاريخية المشهورة» يسطر هذه الفرية في «رحلته» (١/ ١١٠) على أنه رآه

(١) وهو قوله ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له» أخرجه البخاري (١/ ٢٨٩) ومسلم (٢/ ١٧٥) وغيرهما عن أبي هريرة، وفي الباب عن عدة من الصحابة.

(٢) «الدرر الكامنة» (١/ ١٥٤).

في المسجد الأموي بدمشق ، ويتناقلها ـ بعده ـ عددٌ من الأغمار الجهلة الناقدين الحاقدين[1] .

ولستُ ـ هنا ـ في معرض الردّ مفصّلاً على هذه الفرية ، لكنني أقول على وجه الإجمال :

أولاً : مذهب ابن تيميّة في صفات الله تعالى هو مذهب السلف الصالح المُتَمَثّل بقوله تعالى : ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [الشورى : ١١] فهو يثبت نزول الله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وكماله ، لا كنزول المخلوقين ، فنراه يقول في «مجموع الفتاوي» (٥/ ٢٦٢) : «مَن جَعَلَ صفات الله مثل صفات المخلوقين : استواء الله كاستواء المخلوق ، أو نزوله كنزول المخلوق ، ونحو ذلك ، فهذا مبتدع ضالّ» .

فهل بقيت حُجَّةٌ لزاعمي تلك الفرية وناقليها؟! .

ثانياً : صرّح ابن بطوطة في (١/ ١٠٢) من «رحلته» بأنه دخل دمشق في ٩/ رمضان/ ٧٢٨ هـ ، وكان حينئذٍ شيخُ الإسلام في السجن ، إذ دخله في ٦/ شعبان/ ٧٢٨هـ[2] ولم يُغادر ـ رحمه الله ـ السجن إلى أن توفي في ٢٠/ ذي القعدة/ ٧٢٨هـ[3]!!!

فكيف ـ إذاً ـ رآه بعينه وهو يومئذٍ سجينُ القلعة منذ ثلاثة

(١) مثل كمال أبي المنى في مقدمته لـ «الرسائل السبكية» ولقد رددت على مقدمته مفصلاً في كتابي «الأجوبة المكيّة على مقدمة الرسائل السبكية» يسّر الله نشرها .
(٢) «البداية والنهاية» (١٤/ ١٣٥) .
(٣) المصدر السابق .

وثلاثين يوماً؟! تالله إنها لإحدي الكُبَر!!

والخلاصة: أنه يجب تصفية التاريخ الإسلامي بعصوره كافة من أمثال هذه القصص المخترعة التي فيها القدح المُقذع بعلماء الإسلام، وهُداة الأنام، وذلك بتأصيل القواعد، وتثبيت الأُسس حتى لا تنفذَ من بين هذه القواعد والأُسس فريةٌ أو خرافة تُؤجِّج ناراً، أو تُشعل فتنة.



التربية: معناها وواقعها

ورد في «القاموس المحيط» (٤/ ٣٣٤): رَبَّيْتُه تربيةً، بمعنى: غذوتُه.

«فمن معاني التربية في اللغة: التغذيةُ، أي: توفير حاجات الإنسان من الطعام والشراب، حتى يكتمل جسمُه، ويتمتّع بالصحّة والعافية، ويتمكّن من السعي في الأرض ينبشها ويستدرّ خيراتها، ويكتشف مجاهلها، فيستخرج كنوزها التي لا تُحصى عدّاً، ثم استُعيرت عبارةُ التربية للتعبير عن تغذية العقلُ والإحساس والروح والوجدان، وهي معانٍ تجعل من الإنسان كائناً متميّزاً له تقاليدُه وأصولُه المرعيّة»[1].

فالتربيةُ التي نريدُ إذاً هي «تربيةُ الجيل الناشىء على هذا الإسلام المصفّى من كل ما ذكرنا، تربيةً إسلامية صحيحةً منذ نعومة أظفاره، دون أيّ تأثر بالتربية الغربية الكافرة»[2].

ولقد قال ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلكنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ**

(١) «التربية في السنة النبوية» (ص ٥) أبو لبابة حسين.

(٢) «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٢/ ٢) محمد ناصر الدين الألباني.

﴿تُعَلِّمون الكِتابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسون﴾ [آل عمران: ٧٩]، «والرّباني هو الذي يُربّي الناس بمنهج الله، ويتدرّج بهم حتى يصل بهم إلى المستوى الرفيع الذي يريده الله»[١].

ولقد فسَّر بعضُ أهلِ العلمِ الآية الكريمة بقولهم: «هم الذين يُرَبّون الناس بصغار العلم قبل كباره»[٢].

وهذا هو عَيْنُ الذي أردناه، تربية الناس على العلم الصحيح المصفَّى الذي ليس فيه غَبَشٌ أو دَخَنٌ، بدقيق المسائل قبل جليلها.

هكذا كان منهاج رسول الله ﷺ مع صحابته عند فجر الدعوة، إذْ جاءَهم في بيئة كثرت فيها المفاسد والفتن والشوائب، فَبِوَحْيِ الله له بدأ بتصفيتها، وتنقيتها حتى غَدَتْ كما قال ﷺ: «قد تركتكم على البيضاء: ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك..»[٣].

ولم يكن رسولُ الله ﷺ ليفصِلَ بين التربية والتصفية، بل كانت تصفيتُه تربيةً عملية للصحابة رضوان الله تعالى عليهم، كما في الحديث الذي تقدّم[٤]، لمّا قال له رجلٌ: «ما شاءَ الله وشئتَ يا رسولَ الله» فأنكر ذلك رسولُ الله ﷺ مُصَفّياً عقيدته مُرَبِّياً له على

---

(١) «معالم الشخصية الإسلامية» (ص ٣٠) عمر سليمان الأشقر.

(٢) «صحيح البخاري» (١/ ١٦٢ - فتح)، ويُخطىء من ينسب هذه الكلمة لابن عباسٍ رضي الله عنهما كما يلاحظه المتأمل في «الصحيح»!!

(٣) رواه ابن ماجه (٤٣) وأحمد (٤/ ١٢٦) والحاكم (١/ ٩٦) بسند صحيح عن العرباض بن سارية.

(٤) (ص١٦).

العقيدة المصفّاة: «أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده»!

ومثل ذلك أيضاً ما رواه عديّ بن حاتم أنّ رجلاً خَطَب عند النبي ﷺ، فكان ممّا قاله: مَن يُطع الله وَرسوله فقد رشد، وَمَنْ يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ مُصَفِّياً عقيدته ومنقّياً لسانه، ومُربِّياً له على الصواب: «بئس الخطيب أنت، قل: ومَن يعص الله ورسوله..»[1].

وهذا كان منهاجَ الصحابةِ رضي الله تعالى عنهم في التربيةِ على ما يردهم من أحكام دين الله سبحانه وتعالى؛ فلقد قال إمامٌ جليلٌ من أئمّة القراءة التابعين مُبَيِّناً المنهاجَ العَمَليَّ الذي سلكه الصحابةُ في تلّقي الدين والتربية عليه:

«إنّا أخذنا القرآن عن قومٍ أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلّموا عشر آياتٍ لم يُجاوزوهنَّ إلى العَشْر الأُخَر حتى يعلموا ما فيهنّ، فكنّا نتعلّمُ القرآنَ والعملَ به...»[2].

هذا هو المنهاجُ الفِعْليُّ في التربيةْ القويمة على الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء والصالحين، والسلف الصالحين من هذه الأُمة التي قال الله عز شأنه عنها: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْروف وَتَنْهَوْنَ عن المُنْكَرِ وَتُؤْمِنونَ بالله﴾** [آل عمران: ١١٠].

---

(١) رواه مسلمٌ (٨٧٠) وأبو داود (٤٩٦٠) والنسائي (٦/ ٩٠) والبيهقي (٣/ ٢١٦) وأحمد (٤/ ٢٥٦، ٣٧٩) والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٩٨).

(٢) رواه ابن سعد (٦/ ١٧٢) بسند صحيح.

وقد يعترض أَحَدٌ على هذا المنهاج فيقول: إنّه طريقٌ طويلٌ، والأُمّةٌ ممزّقة، ينبغي الاستعجال بإنقاذها؟؟!!

فنقول: نعم، صحيحٌ أنَّ الأُمّة ممزقة، لكنْ.. ألم تُجرّبوا في هذه السنين كلِّها مناهج الإصلاح الأُخرى التي ادّعت أنها «سريعةٌ» و «عَجِلةٌ» و «نشيطة»؟؟ ألم تفعلوا ذلك؟ بلى، والله إنكم فعلتم، ولكنّكم - فوأسفي الشديد - لا زلتم في مكانكم تتردّدون، دونما تقدّم أو تطوّر، فلماذا؟؟

لا بُدَّ أنْ تكون مناهجُ الإصلاح التي تسيرون عليها ليست هي ذلك الطريق الذي خطّه رسول الله ﷺ، فلقد قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: خطّ لنا رسولُ الله ﷺ خطاً، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خطّ خطوطاً عن يمينهِ وخطوطاً عن شماله، وقال: «هذه سُبُلٌ، على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليه» وقرأ: **﴿وَأَنَّ هٰذا صِرَاطِي مُستقيماً فاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبيلِهِ﴾** [الأنعام: ١٥٣][1].

وَمَنْ تأمّل هذا الحديث جيداً يرى أنّ ذلك الخطَّ طويلٌ، والخطوط حولَه قصيرة، لكنّ ذاك - على طوله - هو سبيل الله وصراطه المستقيم، وأما أولاء - على قصرهم - فهم ليسوا سُبُل الله، إنما هي سُبُلٌ يدعو إليها الشيطانُ بتفاوت بينها، فقد تكون دعوةُ الشيطان إلى أحدها كبيرة، وقد تكون في أُخرى صغيرة، وقد

---

(١) رواه أحمد (٤١٤٢) و (٤٤٣٧) والطبري (١٤١٦٨) والحاكم (٢/ ٣١٨) وسنده حسن.

تكون في ثالثةٍ بينهما، لكنهم ـ جميعاً ـ مشتركون، في أنهم ليسوا هم سبيلَ الله التي بَيَّنَهَا رسولُ الله ﷺ في سيرته العملية، وصحابتهُ من بعده في حياتهم: دعوةً وجهاداً، وَمَنْ تبعهم بإحسان من علماء الأمة المقتدى بهم.

ثم نقول لهؤلاء المستعجلين:

هل تظنّون «أنّ التربية كالصناعة الماديّة، حيث تُصنع الخامةُ من المعدن أو القطن أو الصوف في جانب من المصنع لنتلقّاه سيارةً وثلاجةً وقماشاً في الجانب الآخر. ؟؟

وهذا خطأٌ كبير، لأن التربية الإنسانية الفعليّة بطيئةٌ بطءَ النموّ الجسماني، فتربيةُ الأفكار، والعقائدُ وآداب السلوك يحتاج مِن الزمن ما يحتاجُه النمُّو الجسمانيُّ.

وَمَثَلُ المستعجلين في التربية كَمَثَلِ مَنْ يُريد جَنيناً بشرياً في أقلَّ من تسعةِ أشهرٍ، وَمَنْ يريد إخراجَ رجلٍ كاملٍ في أقلَّ من السنين التي تستلزم ذلك!!

والحال أنّنا نحتاج لِنُعيدَ الأُمَّةَ إلى جادّة الحق وصراط الله إلى عددٍ من السنينَ يُناسبُ الوقتَ الذي في مثلِهِ يتربّى الجيلُ»[1].

إنّما المهمّ أنْ يقومَ كلُّ واحدٍ منّا بالواجب المُلْقى عليه لِيَشكِّل ـ بنفسه ـ لَبِنَةً من لَبِنَاتِ صَرْحِ الأُمَّة، ثم ـ بَعْدُ ـ ينهض

---

(١) «العقبات التي تعترض بناء الأمة الإسلامية» (ص ٣٩) عبد الرحمن عبد الخالق.

«المجتمع المسلم الذي يقوم بتآلف تلك اللَّبِنَاتِ التي رُبِّيَتْ على أساس الإسلام [المصفّى] عقيدةً ومنهجاً»[1].

وإذا أردنا أن نعرف بعضَ ثَمَراتِ هذا المنهج القويم الذي أسلفتُ شرحه وبيانه، فلننظر إلى بعض أحداث عصرنا الحاضر منذ بضع عَشَرات من السِّنين ـ حَسْبُ ـ، لنعرفَ حقيقة ثمرات التصفية والتربية علماً وعملاً، تاركين أحداث القرون الغوابر وأصحابها الذين انتهجوا النهج نفسه، للعبرة والذكرى:

فها هو العلامة الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدِّهلوي السَّلفي يقود كثيراً من أهل عصره في حروبهم ضد السِّيخ الهنود الكَفَرة، وبدأت الحروب بينهم «وبعد برهة من الزمن كسروا ثورة السِّيخ، ونُهبت ثروتهم»[2]. والشيخُ إسماعيلُ رحمه الله وأصحابُه «قاتلوا وجاهدوا بغير إضاعةِ ساعةٍ واحدةٍ في جهاد الأقلام ونشر الصحف المطبوعة، فإنَّ الجهادَ حياةٌ بنفسِه لا يحتاجُ إلى دعاية مزخرفة كاذبة»[3].

والشيخ عبد الحميد بن باديس، قائد الحركة الإصلاحية في الجزائر، كان له الأثر الأكبر الفعّال في تربية جيلٍ مسلمٍ واعٍ من أبناء الجزائر، وتاريخُه الحافلُ يُؤكّد ذلك ويُثْبِتُهُ.

«لقد حمل الشيخ ابن باديس لواءَ الإصلاح والدعوة لإيقاظ

(١) «الأصول العلمية للدعوة السلفية» (ص ٥٠) عبد الرحمن عبد الخالق.

(٢) «النهضة السلفية في الهند والباكستان» (ص ١٣) محمد إسماعيل السلفي.

(٣) المرجع السابق نفسه، وانظر ترجمته ووفاته في «نزهة الخواطر» (٧/ ٦٣).

الوعي الإسلامي في بلاد الجزائر، في زمن ضرب فيه الجهل بجرانِه، وراجت فيه الشعوذات والبدع، بعد أن سقطت البلاد في حضيض الضعف، واستولى الإفرنسيون على السلطات، وسعوا في زيادة مصائب الجزائريين، فسلّطوا عليهم سِيَاط العذاب والهَوَان والإرهاب: من سفكٍ للدماء وتشريدٍ للأحرار، وإفقارٍ للعوامّ، وتركِهم فريسة الجوع والبؤس والجهل.

واستمرّ الاستعمار زهاء ثلاثين عاماً، بكابوسه الفظيع إلى أن أثمرت جهودُ العاملين المخلصين، أمثال الشيخ ابن باديس، وَهَبَّ الجزائريون عن بِكْرَةِ أبيهم، يذودون عن الحِمَى، ويجاهدون في سبيل الله، وَأَصْلَوْا المستعمرين حرباً ضروساً لا هوادةَ فيها طيلة ستة أعوام، سقط فيها مئات الألوف من الجزائريين صرعى البغي والعدوان، وظفرت الجزائر بحرّيتها...»[1].

وفي أثناء تلك الحرب «ظهرت في ساحة الجهاد جمعيةُ العلماء الجزائريين، تحارب الخرافات والبدع، وتجمع الجزائريين على الإسلام الصحيح، لأنه ـ وحده ـ الطريق الصحيح»[2].

«وقد حاربت فرنسا جمعيةَ العلماء، ولكنها كانت عميقة الجذور، وظلّت مناراً يُهتدى به، ولم تَثْنِ ابنَ باديس

---

(١) «مجلة الجامعة الإسلامية» (العدد: ٣/ السنة: ٣/ ١٩٧١) مقال للشيخ محمد شريف الزيبق.

(٢) «أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر» (ص ٢١) عبد الحليم عويس.

والإبراهيميّ[1] عن عزمهما في محاربة فرنسا ومُخَطّطاتها، إذ اعتُقل ابنُ باديس، ونُفي الإبراهيميُّ إلىّ (إفلو) غرب الجزائر.

وما لبث ابنُ باديس أنْ أسلم الروح، وهو قرير العين، مطمئنّ النفس، من أنَّ الراية ستظلّ مرفوعة، لأنها راية حقّ.

وحمل الرايةَ [بعده] الإبراهيميُّ، وسار على الدرب، ولم يأبه بالنفي أو الاعتقال.. وظلّت الجمعيةُ وفِّيَّةً لرسالتها، والإبراهيميُّ أميناً في أداء واجبه حتى أَهَلَّتْ تباشير النَّصر، مُحَقِّقَة للشعب أجمل طموحاته وأمانيه»[2].

هٰذان مَثَلان واقعيان مِنْ أمثلةِ مَن اتَّبع صواب النهج في التصفية، وصدق العمل في التربية، حتى وصلوا إلى ما يُؤَمّلونه من عزٍّ ونصرٍ، وفلاح وسؤدد، وهما تطبيقٌ عمليٌّ لقولِ الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الذينَ آمنوا مِنْكُمْ وَعَمِلوا الصالِحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرضِ كَما اسْتَخْلَفَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الذي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدونَني لا يُشرِكونَ بي شَيْئاً**﴾ [النور: ٥٥].

فهؤلاء آمنوا بالدين أصولاً وفروعاً، ثم عملوا بما علموا وآمنوا به، ثم قاموا بتحقيق شرط العبادة وعدم الشرك فكانت النتيجة أَنْ جعلهم الله مُسْتَخلَفين في الأرض، ومكّن لهم من

---

(١) هو الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

(٢) من مقال للأخ الأستاذ عبد الفتاح داغر في جريدة «صوت الأمّة» (ص ١٢) بتصرّف

الدين ، وأبدل خوفهم بالأمن والأمان محقّقين ما أراده الله منهم من تغيير النفس ، فأدّى الله سبحانه وعده لهم ، بأن غيّر ما فيهم ، **﴿ إنَّ الله لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِم﴾** [الرعد: ١١] .

الخَاتِمَة

إنَّ من صَفَتْ عقيدتُه، وأخلص تحاكُمَهُ لله ورسوله، وجعل صحيحَ السنَّةِ حجةً له، وعمل بالفقه الصحيح رافضاً التقليد، وتفهَّم كتابَ الله، وأخذ تفسيره الصحيح، وزكّى نفسه تزكيةً نبويّةً صحيحة، واستمد فكره من الوحيين الشريفين، ولم يقبل من الأحاديث والوقائع إلاّ صحيحها والصادق منها، كان من ﴿ **الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحات**﴾، إذْ هل الدينُ إلاَّ ما أشرتُ إليه أو هو داخلٌ ضِمْنَه؟!

وأخيراً فإنَّ الذي ينبغي أن تُدركه الأُمة المسلمة لتعرفَ قيمتَها وحقيقتَها وتعرفَ أنها أُخرجت لتكون طليعة، ولتكون لها القيادة بما أنها خير أُمّة، والله يريد أن تكون القيادة للخير، لا للشرّ في هذه الأرض. ومن ثَمَّ لا ينبغي لها أن تتلقَّى من غيرها من أُمَمِ الجاهليّة، إنما ينبغي دائماً أن تُعطي هذه الأمم مِمّا لديها، وأن يكون لديها - دائماً - ما تُعطيه من: الاعتقاد الصحيح، والتصوّر الصحيح، والنظام الصحيح، والخُلُق الصحيح، والمعرفة الصحيحة، والعلم الصحيح»[1].

(١) «في ظلال القرآن» (٢/ ٢٣) سيد قطب.

إذا عرفنا ما تقدّم وفهمناه نعلم بيقين وثبات كيف تكون البداية الصحيحة للخروج من هذه المحن التي نحن فيها، بعد أن تخبّطنا سنوات خدّاعات طويلات، وبعد أن تأخّرنا إلى ذيل القافلة بعد أن كنّا قادتها وسادتها، وما ذلك إلا لبُعْدِنا عن النهج الصحيح في التلّقي والعطاء.

فالرجوعَ الرجوعَ إلى الدين الصحيح . . .

والقوّة القوّةَ في التربية على هذا الدين الصحيح . . .

حتّى يَتَنَزَّل علينا النصرُ من عند الله سبحانه، فنفوز بالنصر في الدنيا، والنجاة في الآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

وكتبه

أبو الحارث علي بن حسن بن على



محتويات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة المؤلف	٥
مكانة أهل الحديث	٦
سبيل الرجوع إلى الدين	٩
التصفية والتربية : علماً وعملاً	١١
الردّ على صادق أمين ! !	١٢
مجالات التصفية :	١٣
١ ـ العقيدة	١٣
٢ ـ التحاكم	١٦
٣ ـ السنّة	١٨
الرد على سمير ستّيتية ! !	٢٢
٤ ـ الفقه	٢٣
٥ ـ التفسير	٢٧
٦ ـ التزكية	٣٠
٧ ـ الفكر	٣٣
٨ ـ التاريخ	٣٧
التربية : معناها وواقعها	٤٢

الموضوع	رقم الصفحة

المنهاج العملي في الربط بين التصفية والتربية ٤٣

مثالان واقعيان لثمرات التصفية والتربية ٤٧

الخاتمة ٥١

المحتوى ٥٣


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



هذه الرسالة

- فيها بيان المنهج العملي الواقعي لاستئناف الحياة الإسلاميّة .
- الشرح والتطبيق لـ «التصفية والتربية» علماً وعملا .
- أمثلة على مجالات التصفية بواقعها الفعلي .
- الرد على كثير من الأفكار المبتدعة في الساحة الإسلامية .
- فكرةُ هذه الرسالةِ كلمةٌ مكوَّنة من بضعة سطور، كتبها شيخنا العلاَمة محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله في بعض مؤلَفاته، فجزاه الله خير الجزاء .
- فالله نسألُ أن ينفع بها، إنّه سميع مجيب .